الفصل السابع
الخوف من اللّه

مقدمة:

الخوف من الله هو خوف إيجابي، يجب على الوالدين غرسه في نفس الطفل منذ نعومة أظفاره بطريقة معتدلة، غير أن بعض الآباء ربما لا يتفهم ذلك بطريقة جيدة؛ بل ويحرصون -أشد الحرص- ألا يعرف الطفل ما هو الموت والجنة والنار والقبر. وإذا ما تعرض الطفل إلى سماع أي شيء من هذه الأخبار أغلق الموضوع، وقد يكذب على ابنه عند إجابته عن هذه الأسئلة الغيبية.

كيف يمكن إقناع هذه الفئة بضرورة تعزيز هذا الجانب لدى أبنائهم؟:

ما هو ضابط تربية الطفل على الخوف من الله؟ وهل هناك محظورات معينة ينبغي على الوالدين تجنبها بخصوص تربية الطفل على الخوف من الله؟

في الحقيقة، فإن ضابط تربية الخوف من الله عند الأطفال هو الاعتدال في الطرح، وعدم المبالغة فيها قبل العاشرة، ويكون قليلًا، وبعد العاشرة يهيأ الطفل للتكليف، والأمر بمزاولة بعض العبادات كالصلاة والصوم.

وفي الحقيقة، فإن هناك أمران من المهم طرحهما في هذه القضية، وهما:

أولا: أن الإنسان يتطلع أن يكون له رب أو إله:

ربما كانت هذه فطرة في الإنسان، أنه بشكل عام يبحث له عن قوة معينة يركن إليها، وفي قلبه احتياج كبير، ولقد رأينا عبر التاريخ كيف أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون رب أو إله يعبده.

وعلى هذا يلاحظ أن الناس كلهم ما يعيشون هذه الحياة بمستوى معيشة معين، ولا بد من قوة توجهه؛ إما دين أو قانون أو أعراف جماعة.

أما من ناحية القلب، فيلاحظ توجه الإنسان إما إلى دين سماوي، أو إلى خرافات وخزعبلات، تظهر على صور خرافات أو قصص وحكايات، فتملأ هذا الفراغ.

وعلى هذا، فلا بد للإنسان -منذ أن يكون طفلًا- أن تتم تنشئته على ما يملأ عقله وقلبه، من خلال التوجه الروحي لله تعالى، وهو مرتكز السعادة.

وعلى هذا فتحريك الخوف من الله كتعظيم وإجلال، يؤدي للتوكل عليه سبحانه وتعالى، والاعتصام به؛ ومن ثم تهون جميع المخاوف الأخرى.

ثانيًا: تربية هذا العامل القلبي في قلب الطفل:

مما لا شك فيه أن تربية الخوف من الله في نفس الطفل هو أمر ضروري، ولكن يجب أن يكون باعتدال، وقدر يناسب عقليته ومداركه، من خلال إدخال معالم الجلال والعظمة والحب لله الواحد الأحد، وذكر

جانب الجنة والنار كحقائق بشكل مبسط، كطريق للثواب والعقاب بدون كلام شديد، خاصة أنهم لم يصلوا بعد إلى سن التكليف. ويلاحظ في السُّنة المطهرة، أن النبي ﷺ لم يذكر عنه أنه كرر ذلك على الأطفال، وإنما يؤكد على الأعمال العبادية والأخلاق السلوكية معهم، مع جرعات خفيفة من لفت النظر للخالق، مثل: حديث ابن عباس: "احفظ الله يحفظك"، وحديث سفيان بن عبد الله الثقفي، وغيرهما -رضي الله عن الجميع-، والطفل سيستقبل هذه المخاوف الإلهية عبر مراحل العمر بسلاسة، حتى إذا بلغ سن التكليف، إذا بجميع هذه المفردات قد تكاملت بطريقة طبيعية.

إذن ليست هناك مشكلة في ذلك، المشكلة حينما نهملها تمامًا، أو نبالغ فيها بشكل كبير، ومن الخطأ التهرب من سؤال الصغير؛ فالتربية السليمة مبنية على الوضوح والإجابات المقنعة.

ونشير هنا إلى دور الأم المهم، فيجب عليها أن تعلم ولدها دائمًا الخشية من الله عز وجل؛ حتى يرق قلبه، وتصير التقوى صفة ملازمة له، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات]. وقال عز وجل: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن]. كما يجب عليها أن تعلمه الخوف من المعاصي: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام]. كذلك، يجب عليها أن تحذر من الإسراف في تهديد طفلها من التخويف والتهديد بالعذاب والنار، وتدرك أن خوف الطفل من الله وحده يمنع عنه الخوف مما سواه.

الخوف من الله:

كان هناك ولد ذكي وسريع البديهة اسمه أحمد، وكان يعيش في قرية صغيرة. وفي يوم من الأيام جاء شيخ من غرب المدينة ليسأل عن أحمد:

الشيخ: هل يوجد في هذه القرية ولد يدعى أحمد؟

الرجل: نعم.

الشيخ: وأين هو الآن؟

الرجل: في الكتاب يحفظ القرآن، وهو يمر عند عودته من هنا، ولكن لماذا تسأل عنه!

الشيخ: سوف تعرف قريبًا.

كان مع الشيخ ثلاثة أولاد من غرب المدينة وأربع تفاحات، وكان الشيخ يريد أن يختبر ذكاء أحمد، ومرت دقائق، ومر أحمد من أمام الشيخ.

الشيخ: هل انتهيت من درسك يا أحمد؟

أحمد: نعم.

الشيخ: خذ هذه التفاحة، واذهب إلى مكان لا يراك فيه أحد لتأكلها.

وقام الشيخ بتوزيع بقية التفاح على الأولاد الثلاثة.

وبعد دقائق جاء الأولاد، ولم يأتِ أحمد معهم.

الشيخ: هل أكلتم التفاح؟

الأولاد: نعم.

الشيخ: أين أكل كل منكم تفاحته؟

الولد الول: أكلتها فوق سطح بيتنا.

الولد الثاني: أكلتها في غرفتي.

الولد الثالث: أكلتها في الصحراء.

ثم رجع أحمد ومعه التفاحة ..

الشيخ: لماذا لم تأكل التفاحة يا أحمد؟

أحمد: لم أجد مكانًا لا يراني فيه أحد.

الشيخ: لماذا؟

أحمد: لأن الله يراني عندما أذهب إلى أي مكان.

ربت الشيخ على أحمد، وهو معجب بإيمانه وفطنته.